العلمانية وثقافة المهاجرين

المطران حبيب النوفلي

البصرة – نيسان 2014

مقدمة

ونحن في غمار حوار الثقافات بسبب الهجرة وثورة الإتصالات من الضروري دراسة الموضوع خصوصا وان الثقافة العلمانية في الغرب تحاول فرض هيمنتها على الثقافات الأخرى للمهاجرين. ومما يزيد من الأمر اهمية اكبر هو ضرورة فهم موقف الكنيسة التي تحاول بأمانة اعلان بشرى ملكوت الله. ساحاول اولا تقديم تعريف مختصر للثقافة حسب رأي الكنيسة الكاثوليكية، ثم شرح المقصود من العلمانية، واخيرا ما هي ثقافة الحياة التي نرجو ان نحياها جميعا خصوصا المهاجرين.

الثقافة

الثقافة هي كل نشاط انساني يساهم في تطوير الشخص البشري نحو الأفضل. قال الدستور الراعوي عن الكنيسة في العالم المعاصر *Gaudium et Spes* سنة 1965 ان الشخص من خلال الثقافة فقط يصل الى انسانية حقيقية وكاملة، ثم من خلال التعامل مع الخيرات والطبيعة وفق ذلك. اما البابا يوحنا بولس الثاني فاعتبر الثقافة الطريق المحدد للوجود الإنساني، بينما العالم ستود اعتبرها تحديد الخاصية الإجتماعية والإنسانية ضمن الوجود البشري (Staude, pp 5-7).

الثقافة تتضمن تقاليد تم تشكيلها من قبل اشخاص ومؤسسات ونشاطات يومية. لذلك لها جذور وذاكرة تاريخية. وإن ادخال الأدوات الثقافية في العبادة امر اساسي لفهم تاريخ الثقافة المجتمعية مثل تاريخ اشكال العيش البشري والقيم الإنسانية والدينية.

يمكن فهم الشخص بطريقة حياتية اكمل عندما يحيا ثقافيا ضمن لغته وتاريخه ومبادئه وكيف واجه احداث الحياة الأساسية منذ الولادة كعيش المحبة اوالعمل او حقيقة الموت.

والمسيحيون العراقيون تفاعلوا مع مختلف الثقافات في وادي الرافدين منذ الفي سنة. اما المهاجرون فإنهم يتفاعلون مع ثقافات جديدة ويتعلمون لغات عديدة. وعلى الرغم من انها تغني شخصيتهم، فإن لهذه العملية الميكانيكية مظاهر شريرة وقد تؤذيهم ادبياً. على اي حال يستطيع المسيحيون ان يشاركوا الأخرين ثقافيا ليعلنوا دعوة الله المحبة للبشر وبشرى انجيل الحياة. انهم قادرون ان يغذوا شركة القيم ويحيوا ويزهروا خبرات جديدة.

الثقافة ليست اساسية في حياتنا فقط ولكن لإيماننا ايضاً كما قال البابا يوحنا بولس الثاني: الإيمان الذي لا يصبح ثقافة غير مقبول فكريا بصورة كاملة ولا يعاش (Jaredt s., p.6). بناءً على ذلك، الثقافة مهمة في الأنجلة الجديدة خصوصاً نحن نواجه التأثيرات السلبية للعولمة.

العولمة

كي يكون الشخص علمانيا، ليس عليه فقط الإعتماد على خبرة الحياة بفكر حر. لقد ميز العالم شنرShiner ستة اشكال من العلمانية التي تؤثر على حياة المهاجرين او حتى الخاضعين تحت نيرها:

اولا، قد تعني رفض الرموز والعقائد والمؤسسات الدينية فقط.

ثانياً، تحويل انتباه الناس عن الفوق الطبيعي، اي الغير مدرك عبر الحواس او العلوم الطبيعية (ويشمل الإيمان بالحياة فوق الطبيعية التي تجعلنا نؤمن بوجود الله). وبالمقابل تؤكد على المواضيع الإجتماعية والغير دينية فقط.

ثالثاً، العلمانية تعني انسحاب الدين من المجتمع ليصبح شأناً خاصاً.

رابعاً، قد يقصد بها نقل الشؤون الدينية والإيمانية ومؤسساتهما الى اشكال غير دينية. مثلا بدلا من ان تنشيء الكنيسة لجنة لدعم المحتاجين، تؤسس مؤسسة علمانية لهذا الغرض بشرط ان لا تربط العمل بقيم دينية او ايمانية.

خامساً، العلمانية قد تعني ايضاً اعادة تقديس العالم حيث لا مجال لله بعد. وهذا كان موجود في العديد من الديانات الطبيعية التي كانت سابقا تقدس الطبيعة. وعلى سبيل المثال تشكل في سنة 2013 دين في ويلز غرب بريطانيا هدفه تقديس الأشجار والنباتات والأحجار وغيرها. وقد حصل على اعتراف حكومي وتم تخصيص مبلغ سنوي لدعمه. وقد نشرت وسائل الإعلام خبرا عن شخص تزوج بشجرة في مطلع سنة 2014.

اخيراً، تعني نقل المجتمع من (مقدس) الى (علماني) من خلال اهمال القيم والممارسات التقليدية. ومن الأمثلة التوضيحية هو انه بدلا من الإحتفال بالزواج في كنيسة يتم نسخ الرتبة المقدسة باسلوب علماني مشوه واقامته في مجلس البلدية وهذا ما حصل في الإتحاد السوفييتي قبل انهياره. وشتّان من بين الإثنين.

العلمانية والثقافة المسيحية

حذر البابوات مرارا وتكراراّ من العلمانية . ونذكر على سبيل المثال ما قاله البابا بندكتس 16 في عظته سنة 2010 حينما قال : الممارسة العلمانية تنتج ازمات خطيرة حول الإيمان المسيحي والإنتماء الى الكنيسة.

إن ثمار العلمانية تجعل العالم يواجه انحدار العديد من القيم الأساسية التي تؤسس صلاحاً لا يقبل النقاش ليس فقط للآداب المسيحية ولكن للآداب الإنسانية. هذا الإنحدار يتضمن ما يحصل من قلة احترام الحياة الإنسانية، والزواج، وتوازن العائلة. وبناء على ذلك، الثقافة هي في ازمة بسبب التشكيك في العلاقة مع اسس الأخلاق والمعرفة لذلك الناس يواجهون تحديات عندما يحاولون فهم سبب وغاية وجودهم على الأرض.

العلمانية تؤثر على المهاجرين عندما يواجهون اوضاعاً بالضد من تعليم الكنيسة الكاثوليكية. انها تشوه هوية الشخص الساعي الى الحقيقة والجمال من خلال علاقاته مع ذاته والله والآخرين والطبيعة. وإن ازالة الحقيقة من بُعد حياته الإلهي سيؤدي الى اهمال نور عقله ويحطم معنى قيم الحياة. يقول اللاهوتي البريطاني الكاثوليكي هلمس أن الحقيقة ليست حقيقة لأجلي او لأجلك، إنها حقيقة كل فرد في العالم بغض النظر عن الإيمان والإلتزام الحالي-www.edward-hulmes.co.uk.

ولكن حتى لو ان المهاجرين يوجدون في ثقافة معينة مثل الثقافة العلمانية، عليهم ان لا يعرَّفوا من خلالها. كل الثقافات لها طرق معينة للحياة، ولكن عليهم ان يسعوا الى الحقيقة لأنهم معروفون من خلال تسامي ثقافتهم لا بكونهم مسجونين لهذه الثقافة او تلك. إنهم يفترض ان يتعقبوا رحلة يسوع المسيح التي قادت الإنسانية منذ قرون كي تخطب الحقيقة بعمق اكثر واكثر.

لسنوات عديدة في عقد الثمانينات من القرن الماضي كرس الطوباوي البابا يوحنا بولس الثاني كرازاته للحديث عن ثقافة الحياة وثقافة الموت. سوف لن اتطرق الى ثقافة الموت لضيق المجال هنا، ولكن الى ثقافة الحياة حسب تعليم الكنيسة الرسمي.

ثقافة الحياة

ثقافة الحياة هي شركة مع الله. وبواسطة الروح القدس يصل المؤمنون الى ملئ معنى حياتهم. طبقا لكلام البابا فإن الإنجيل يخلق قلوبا جديدة في المؤمنين العطاشى الى معرفة الحق. الحق هو ان الشخص مدعو

لملئ الحياة التي تتجاوز ابعاد وجوده الأرضي لأنه تتضمن الشركة مع الله. جاء يسوع كي تكون لنا الحياة (يو 1:10) لذلك هي مشاركة في الحياة الإلهية من خلال قبول دعوة الروح القدس. على اي حال فإن البابا يوحنا بولس الثاني ترجى من رسالته *Evangelium Vitae* بروز ثقافة حياة انسانية جديدة.

الحياة الإنسانية هي هدية من الله. يقول كتاب التعليم المسيحي الكاثوليكي في افتتاحيته (أن الله اللامتناهي الكمال والسَّعيد في ذاته خلق الانسان خلقاً حرّاً، بتصميمٍ من مجرَّد صلاحه، لكي يُشركه في حياتِه السّعيدة.)

الله هو الحقيقة، والحياة الإنسانية لا معنى لها بدون اشراك الحياة بالحقيقة كي تتأهل للحياة الإلهية. وهذا هو هدف الخلق. والمهاجرين لديهم مسؤولية العمل لأجل اعلان ثقافة الحياة في اي مجتمع؛ ان يحترموا كرامة الشخص البشري طبقا لإرادة الله. عليهم زرع بذور المحبة في المجتمع، وان ينتبهوا الى ضميرهم. ان المهاجرين يعلمون ان عليهم الإستجابة الى صوت الضمير كما اكد الرسول بولس في رسالته الأولى الى قورنثية (2: 11). هنا للأداب دور متميز في حياتهم، فالآداب الداخلة في ثقافتهم تنقيها طبقاً لإنجيل الحياة.

المهاجرين والتحديات الثقافية

للمهاجرين الحق في العيش بسلام واحترام وتضامن مع الأخرين. لذلم هم بحاجة الى عمل راعوي يساعدهم كي يكتشفوا طرق ومعاني ليشركوا انجيل الحياة مع الآخرين. لذلك من الضروري التأكيد على اهمية العائلة لأنه ضمنها الشخص يمتص فحوى القيم التي تكون ثقافة شعبه. والعائلة لها مسؤولية بناء ثقافة الحياة وحمل الرجاء للبشرية. وكي يتحقق ذلك هي بحاجة الى فهم بقية الثقافات في المجتمع.

إن هذا يعني خلق الحوار البناء بين من يحمل القيم المسيحية في العائلة وبين القيم العلمانية. الحوار يجب ان يستند على تعليم انجيل الحياة كي يتغلغل في كل الثقافات ويمنحهم الحياة كي يعبروا عن ملئ الحقيقة بخصوص الشخص البشري والحياة الإنسانية. الثقافة المسيحية يجب ان تشهد لحضور عمل الله كما هو في العهد القديم وكيف اكتمل في العهد الجديد حيث الحقيقة مرتبطة بتجلي المسيح. يؤكد كتاب التعليم المسيحي على ان المؤمن يجب أن يُقرأ الكتاب المقدس ويُفسَّر في نور الروح نفسه الذي جَعَله يُدَوَّن. (الفقرة 110). وعليه ان يعلن رحمة الله لكل البشر خصوصا الذين ضميرهم يستسلم للعلمانية ويفقدوا حاسة الرحمة ويبتعدون عن الله بإبتعادهم عن سر الرحمة.

وعلى الرغم من ان الإنجيل ليس مرتبطاً بثقافة معينة ولكن عملية بناء الملكوت تتطلب استعارة عناصر من الثقافة او الثقافات الإنسانية.

في رسالته *Evangelium Vitae* طلب البابا يوحنا بولس الثاني من المسيحيين العمل بشجاعة كي يشهدوا لتأسيس ثقافة حياة جديدة اي ثقافة الحقيقة (فقرة 77). نحن في قلب ثقافة الحياة عندما نعلن الحقيقة (2 قور 4: 2) والتي يجب ان نؤكدها باستمرار. ومن خلال امتلاكنا معرفة غنية في الثقافة الإنسانية، فإن الكنيسة مسؤولة لفتح طريق حقيقة المحبة كعلامة للرجاء. ولنفس الهدف فالعائلات لها واجب الوصول الى مستوى ثقافي افضل لأن كل شخص يجب ان يجعل وعيه مؤهلا للتثقف كي يطور نفسه ويساعد الأخرين.

المصادر

- كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية
- The Holy See (1965): Pastoral Constitution on the Church in the Modern World *(Gaudium et Spes)*,
- John Paul II, Pope, 1994. Letter to the Families (*Gratissiman Sane, 53,60*)
- John Paul II, Pope, 1980. Rich in Mercy *(Dives in Misericordia, 12, 15)*
- John Paul II, Pope, 1981. On Human Work *(Laborem Exercens, 10,23)*
- John Paul II, Pope, 1991. On the Hundredh Anniversary of Rerum Novarum *(Centesimus Annus, 24)*
- John Paul II, Pope, 1993. (*Veritatis Splendor, 57*)
- John Paul II, Pope, 1995. The Gospel of Life (*Evangelium Vitae, 1,2,6,95, 111*)
- John Paul II, Pope, 1998. Faith and Reason *(Fides et Ratio, 1, 6, 12, 71)*
- Staude, J. (2013) *the Centrality of Culture in the New Evangelization*. *The Sower*, 34(4), pp. 5-7.